قال : فقدْ سألْتُك ما هو أهْونُ من هذا وأنت في صلْب آدم أنْ لا تشْرِكَ بـــي فأبيْـت إلاَّ الشِّرْك»[1].

والخلق بأسرهم لا يحيطون بعظمة ربهم، ولا يملكون القدرة على التعبير عما يليق بجلال قدسه ووحدانيته، فكان من لطفه بهم، أن ألهمهم الإقرار له بالتفرد والوحدانية .. كما جاء في سورة الإخلاص:

﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾[الإخلاص]

ثانياً :نفي الشرك عن الله ﷻ :

تحدى الله سبحانه جل شأنه الكافرين وطلب إليهم إثبات براهينهم المغايرة للتوحيد ـ إن توفرت لديهم ـ ودحض كلا منها ، بما لا يملك إنكاره عاقل ، ولا يجحده إلا معاند كافر، فقال جل شأنه :

﴿ أَمِ ٱتَّخَذُوٓا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً ۖ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَـٰنَكُمْ ۖ هَـٰذَا ذِكْرُ مَن مَّعِىَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِى ۗ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْحَقَّ ۖ فَهُم مُّعْرِضُونَ ﴾[الأنبياء: ٢٤].

وإذا كان هناك إدعاء بأن له شركاء ، فليثبت أحدهم ما شارك في خلقه من الكون .

﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ شُرَكَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ ۚ أَمْ ءَاتَيْنَـٰهُمْ كِتَـٰبًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَتٍ مِّنْهُ ۚ بَلْ إِن يَعِدُ ٱلظَّـٰلِمُونَ بَعْضُهُم بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا ﴾[فاطر: ٤٠].

ويورد الحق سبحانه وتعالى سؤالاً استنكارياً لبدهية منطقية، إذ كيف يدعي الكافر بأن لله ولداً ولم تكن له صاحبه ؟! .. كما في قوله تبارك اسمه:

﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَـٰحِبَةٌ ۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾[الأنعام: ١٠١].

وقوله جل شأنه:

---

١ ، رواه البخاري في كتاب الرقاق – صفة الجنة والنار

﴿ لَّوْ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّٱصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴾[الزمر: ٤].

وفي ذلك أبلغ منطق في الرد على هؤلاء .. إذ كيف يستقيم الإقرار بوجود الله .. ثم الإدعاء باتخاذه ولداً دون إخبار منه للخلق بذلك ؟!

وأزال الله ﷻ اللبس في شأن بشرية المسيح عليه السلام .. بأبسط منطق حين قال :

﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ [آل عمران: ٥٩]

وهنا يتجلى الإقناع الإلهي المبهر الذي يبدأ عن مسلمة منطقية .. يعتد بها المشرك بقدرة الله على خلق سيدنا آدم من عدم ، بما لا يدع مبررا لخلع قداسة على المسيح لأن خلقه كان بغير أب .. فإذا كانت القداسة في تصور هؤلاء مستمدة من إعجاز الخلق .. فخلق سيدنا آدم أولى بالإعجاز.. !

ويوضح الحق سبحانه وتعالى ، بدهية عقلية أخرى تثبت تفرده سبحانه جل شأنه بالوحدانية ، إذ لا يعقل أن يكون للكون إلهين ولا يتنازعان الاختصاص، ومن ثم يفسد الكون من وراء ذلك .

فقال سبحانه وتعالى :

﴿ أَمِ ٱتَّخَذُوٓا۟ ءَالِهَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ ﴿٢١﴾ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾[الأنبياء: ٢١-٢٢]

وقال جل شأنه :

﴿ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾[المؤمنون: ٩١]

وبسط الله ﷻ أكثر مثلا أدق ، بالشركاء المتشاكسون في العبد الواحد

﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[الزمر: ٢٩].

فإن كان تعدد القيادات على فرد واحد ، تجعله لا يستقيم له أمر ولا ينتظم له أداء ، فكيف يكون الحال إن تعددت الآلهة على الكون الذي يشمل المخلوقات بأسرها ؟!

ويحاور الله سبحانه وتعالى ، الكفار في كتابه الكريم بمنطق عقلي آخر .. إذ كيف يشركون خلقاً من خلق الله ، إن كان هذا الخلق لا يملك خلقا لأي شئ ، بل هو نفسه مخلوق .

﴿ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٩١﴾ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴾[الأعراف: ١٩١-١٩٢].

ويوضح الحق سبحانه جل شأنه في حوار منطقي جلي ، أن لو كان لهذه الآلهة التي يدعي بها الكفار، قدرة حتى على الحركة ، لكان الأمر فيه بعض اللبس، ولكن الغريب أن تلك الآلهة المدعى بها ، لا تستطيع أن تسمع ولا تبصر ولا تتحرك.

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ ۖ فَٱدْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٩٤﴾ أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَآ ۖ أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَآ ۖ أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَآ ۖ أَمْ لَهُمْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۗ قُلِ ٱدْعُوا۟ شُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ﴾ [الأعراف: ١٩٤-١٩٥]

وأثبت الله ﷻ قيوميته ووحدانيته من خلال المنهج العلمي في قبول الفروض واختبارها ، ثم استبعاد الفروض الفاسدة منها ، والإبقاء على ما يدعو للطمأنينة والثقة وذلك من خلال الحوار الذي أداره سيدنا إبراهيم عليه السلام مع أبيه ، كما أورده الله سبحانه وتعالي في القرآن الكريم .. فقال :

﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً ۖ إِنِّىٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٧٤﴾ وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا ۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْءَافِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّى هَٰذَآ أَكْبَرُ ۖ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾[الأنعام: ٧٤-٧٩].

ثالثا : مقتضى توحيد الألوهية :

توحيد الألوهية يرتب على العباد مسئولية الطاعة والخضوع والخشوع والامتثال لله ﷻ في كل ما أمر به أو نهى عنه .